قراءة في موقف ديغول من القضية الفلسطينية

د. احمد سعيد نوفل

في تاريخ الأمم قادة يتركون أثراً كبيراً بعد رحيلهم، ليس في شعوبهم فقط، بل في شعوب الدول الاخرى. ومن هؤلاء القادة الجنرال شارل ديغول، مؤسس الجمهورية الفرنسية العام ١٩٥٨، ومحرر بلاده من الاحتلال الالماني العام ١٩٤٥. وتصادف، في هذا العام، ثلاثة تواريخ هامّة تتعلق بديغول: الاول، الذكرى المئة لولادته؛ والثاني الذكرى الخمسون لندائه الشهير من اذاعة لندن، في الثامن عشر من حزيران (يونيو) ١٩٤٠، الذي دعا فيه الشعب الفرنسي الى مقاومة النازية في بلاده؛ والثالث، الذكرى العشرون لوفاته.

ولهذا أطلقت فرنسا على هذا العام «عام الجنرال ديغول»؛ وعقدت ندوات عدة واحتفالات بهذه المناسبة. وما يهمّنا، في الواقع، ليس التحدث، في هذه المناسبة، عن ديغول، بصفته زعيماً فرنسياً ساعد بلاده على مقاومة الاحتلال النازي، ولا بصفته صاحب نظرية بناء اوروبا موحّدة، التي تستعد الدول الاوروبية الى تحقيقها خلال العامين المقبلين، ولا درس شخصية مؤسس الجمهورية الفرنسية الخامسة، الذي وافق على استقلال الجزائر؛ بل ما يهمنا هو اعادة البحث في سياسة الجنرال ديغول من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. تلك السياسة التي ابتدأها ديغول في العام ١٩٦٧؛ واستمرت فرنسا في انتهاجها حتى الآن؛ وهي سياسة التوازن بين أطراف الصراع في الشرق الاوسط، بعد ان كانت فرنسا، في زمن الجمهورية الرابعة الاشتراكية، من أكثر الدول المؤيدة لاسرائيل، وشاركت في العدوان الثلاثي على مصر، في العام ١٩٥٦. وسنحاول التركيز على التطوّر في الموقف الفرنسي من القضية الفلسطينية في عهد ديغول، والأسباب التي دفعت الزعيم الفرنسي الى اختيار هذا النهج، مخالفاً الخط السياسي الذي سارت عليه بلاده من قبل، لأن موقف التحالف مع اسرائيل بدأ يتبدل، تدريجاً، في عهد ديغول، وأصبح الموقف الفرنسي أكثر تفهّماً لطبيعة الصراع العربي ـ الصهيوني، ممّا دعاه الى الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. وفي المقابل، تطوّر التبادل الاقتصادي الفرنسي مع الأقطار العربية، نتيجة موقف فرنسا السياسي الجديد من القضية الفلسطينية.

سنقسم البحث الى أربع مراحل مرت بها سياسة ديغول من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني.

المرحلة الأولى؛ موقف ديغول من العرب واليهود قبل العام ١٩٥٨

من المعروف ان ديغول زار المشرق العربي، بما فيه القدس، العام ١٩٢٩، عندما كان